

عوامل سقوط الحكومات وانهارها الشيخ ميثم الفريجي



عوامل سقوط الحكومات وانهارها

الشيخ ميثم الفريجي

العوامل التي تسبب انهيار الحكومات وسقوطها واندثارها كثيرة، ومتنوعة، ولكن - هنا - نريد أن ننقف مع ما جاء في ضمن كلامِ أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة، وهو يوصي عامله على مصر في عهده المبارك، حيث تضمّن جملةً من التحذيرات المهمّة، التي تُعدُّ من أهم العوامل السلبية التي تساهم في سقوط الحكومة، وانحطاطها، وانهارها، وبداية فشلها، وتفرّق الناس عنها، ويمكن هنا تلخيصها بنقاط:

1/ طَمَعَ الحاكم - وأفراد حكومته من وزراء ومدراء وقادة وغيرهم - في الدنيا، بشكل يجعله مشغولاً بجمع المال، والتكاثر في الأملاك على حساب أفراد شعبه وخدمتهم، فتُشرف نفسه على جَمْعٍ ما لذِّسٍ، وطاب من سفاسف الدنيا، التي لا تسوى شيئاً في قبال التفاني في خدمته شعبه، وفوزه برضاه، فإنَّ في ذلك خالصَ التقدير والاكبار له، وفوزاً في الدنيا، وفوقه رضا الله تبارك وتعالى عنه.

وهذا العامل ملاحظ جداً في الحكومات التي اغتصب إرادة الجماهير، ووصلت الى الحكم بطرق غير شرعية، ولا قانونية، وتسلاقت على أكتاف شعبها بالخداع والتمويه حتى نالت مآربها غير المشروعة، فتسارع أفرادها الى كنز الأموال، كما هو الحال في حكومة بني أمية، وبني العباس، حينما ساروا خلف ملذَّاتهم، وانشغلوا بجمع الذهب، والأموال، والأراضي، بل شغلتهم الجوارى، والخدم والحشم عن رعاية الناس ومصالحهم، وقد تغمَّموا رداء الخلافة والحكم، وهم ليسوا أهلاً له، ويكفي وصف أمير المؤمنين (عليه السلام) لبني أمية في الخطبة الشفشفية، حيث قال: (وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع).

والحكومات الحديثة في المنطقة التي لم تسعُ أرصدةُ البنوك أموالها بينما الكثير من أبناء شعبها يعيش تحت خط الفقر دون أبسط مقومات الحياة.

هذا من أبرز العوامل التي تفقد الحكومات أهليتها للاستمرار بعد أن تسقط في نظر شعبها، فلا توفَّق لخدمته، فتُستبدل بغيرها، والواقع المعاش خير شاهد ودليل على ذلك.

2/ سوء ظنهم وتشاؤمهم بمقدرات الحكومة وبقائنها وديمومتها، ذلك عندما لا يُخطِّط الحاكم ومعاونوه بشكل صحيح لنماء الدولة واستقرارها ورفاهية أبنائها، والأسوء من ذلك عندما تكون هذه الدولة غنية بالثروات، وتزهر بالخيرات والبركات، فيصلُ الحال الى تشاؤم الحاكم وانكسار إرادته ببقاء حكومته، فينزلق الحال الى خراب الحكومة وسقوطها

بينما إذا كان التخطيطُ صحيحاً، والتنفيذ موفِّقاً، تجد الحاكم في تفاؤل دائم ببقاء حكومته وديمومتها بخدمة شعبها وأبنائها

3/ عدم الاعتبار بالعِبر والتجارب السابقة، لملاحظة ايجابياتها وسلبياتها، فتصدُّر الإيجابيات لواجهة التنفيذ، ويُبْتعد عن السلبيات، ويُحذَّر من الوقوع فيها، قال تعالى: (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كيفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) الانعام: 11، و(قُلْ سِيرُوا

فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ) النمل: 69، و(قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّشْرِكِينَ) الروم: 42

ولا يخفى أهمية الاطلاع على تجارب الحكومات، وتحدياتها، وكيفية التعامل مع الظروف المختلفة التي واجهتها.

ومن هنا قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (وَإِنَّ زَمًّا يُؤْتَى خِرَابُ الْأَرْضِ مِنْ إِعْوَازِ أَهْلِهَا، وَإِنَّ زَمًّا يُعْوَزُ أَهْلُهَا لِإِشْرَافِ أَنْفُسِ الْوُجُلَاءِ عَلَي الْجَمْعِ، وَسَوْءِ طَنِّيهِمْ بِالْيَدِقَاءِ، وَقِلَّةِ انْتِفَاعِهِمْ بِالْعِيدَرِ)

4/ سفك الدماء التي حرّسها □ تعالى، والايغال بالناس بالقتل والتنكيل، وان كانوا ليسوا على وفاق مع الحكومة، ومن معارضيها، فان ذلك عامل خطير من عوامل انهيار الحكومة.

فالدين الإسلامي يعطي كرامةً عظيمة للإنسان، ويحفظه في نفسه ودمه وعرضه وماله، ولا يقبل الاعتداء عليه بغير وجه حق، وقد عدّ القتلَ كبيرةً هي من أعظم الكبائر عند □ تعالى، حتى قال: (من قَتَلَ نَفْسًا بِرَغِيرِ نَفْسٍ أَوْ وَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا) المائدة: 32

وفي ذلك يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (إِيَّاكَ وَالِدِّمَاءِ وَسَفْكَهَا بِرَغِيرِ حِلِّهَا، فَإِنَّ زَمًّا لَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى لِنِقْمَةٍ، وَلَا أَعْظَمَ لِنَتَبِيعَةٍ، وَلَا أَحْرَى بِرِوَالِ نِعْمَةٍ وَإِنْ قَطَاعِ مُدَّةٍ، مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ بِرَغِيرِ حَقِّهَا، وَاللَّهِ سُبْحَانَهُ مُبْتَدِئُ بِالْحُكْمِ بَيْنَ الْعِبَادِ فِيمَا تَسَافَكُوا مِنَ الدِّمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَا تُقْوَوْنَ سُلْطَانَكُمْ بِسَفْكِ دَمٍ حَرَامٍ فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُضْعِفُهُ وَيُوهِنُهُ، بَلْ يُزِيلُهُ وَيَنْقُلُهُ، وَلَا عُذْرَ لَكَ عِنْدَ اللَّهِ، وَلَا عِنْدِي فِي قَتْلِ الْعَمَدِ لِأَنَّ فِيهِ قَوَدَ الْيَدَنِ (أي القصاص)، وَإِنْ ابْتُلَيْتَ بِخَطَايٍ وَأَفْرَطَ عَلَايِكَ سَوْطُكَ أَوْ سَيْفُكَ أَوْ يَدُكَ بِالْعُقُوبَةِ، فَإِنَّ فِي الْوَكْزَةِ (الضربة بجمع الكف)، فَمَّا فَوْقَهَا مَقْتَلَةٌ، فَلَا تَطْمَحَنَّ بِكَ

نَخْوَةٌ سُلْطَانِكَ عَنَّا أَنْ تُوَدِّيَ إِلَيْنَا أَوْلِيَاءَ الْمُعْتَدِلِ حَقَّ هُمْ

فيرى الأمام (عليه السلام) أن أكبر أثرٍ وضعي لسفك الدماء بغير حق، هو انهيار الحكومات وزوالها، وهذه المعاني الجليلة ملموسة على أرض الواقع في كثير من الحكومات الطاغوتية المعاصرة، ولا ننسى حكومة المجرم صدام المقبور، حينما أوغل في دماء العراقيين الطاهرة، وتفند في أساليب القتل بالإعدامات، واحواض التيزاب، والأسلحة الكيماوية المحرمة، وغيرها، وملأ الأرض بمئات المقابر الجماعية، التي كشفت الوجه الإجرامي الذي كانت تتعامل به حكومة صدام البعثية التي أصبحت في خبر كان، وسجلها التاريخ من أبشع الحكومات الدموية في إراقة دم شعبها، وإِ المستعان.

وساحة العدالة في منهج أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي هو منهج القرآن، ومنهج رسول الله (صلى الله عليه واله)، تطال الجميع حتى الحاكم، فيؤخذ بجريته إن صدرت منه، فالقصاص حين إراقة دم انسان بريء

قال تعالى: (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) البقرة: 179، والدية بأن يؤدي الى اولياء الميت حقهم، والاعتذار، والكفارة إن كان ذلك عن خطأ محض، كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (وَإِنَّ ابْتِغَاءَ بَرِّ خَطِيئَةٍ وَأَفْرَاطَ عِلَائِيكَ سَوْطُكَ أَوْ سَيْفُكَ أَوْ يَدُكَ بِرَالْعُقُوبَةِ فَإِنَّ فِي الْوَكْزَةِ فَمَا فَوْقَهَا مَقْتَلَةٌ فَلَا تَطْمَاحَنَّ بِكَ نَخْوَةٌ سُلْطَانِكَ عَنَّا أَنْ تُوَدِّيَ إِلَيْنَا أَوْلِيَاءَ الْمُعْتَدِلِ حَقَّ هُمْ)، وكما ينص القرآن على ذلك: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَفْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطِئًا وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطِئًا فَتَحْرِيرُ رَقِيَّةٍ مِّنْهُ مِّنْةٌ وَدِيَةٌ مِّنْهُ مِّنْةٌ وَإِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ فَتَحْرِيرُ رَقِيَّةٍ مِّنْهُ مِّنْةٌ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مِّنْهُ مِّنْةٌ وَإِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقِيَّةٍ مِّنْهُ مِّنْةٌ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا)